# تلقي الشعرية في النقد الجزائري المعاصر، جمال الدين بن الشيخ أنموذجا.

***Receiving the poetry in the contemporary Algerian criticism, .Jamal Al-Din Bin Al-Sheikh, as an example***

**محمد عمارني1**



| تاريخ الإرسال: 2020/02/18 | تاريخ القبول: 19 / 12 / 2020 | تاريخ النشر: 30 / 03 / 2021 |
|---|---|---|



**الملخص:**

نروم من خلال هذا البحث الوقوف عند الرؤى المتنوعة والتصورات والمفاهيم المختلفة حول موضوع الشعرية في الساحة النقدية الجزائرية، ومحاولة الإلمام بهذه الآراء وبيان الاختلافات الموجودة بينها، سواء على مستوى التنظير أو التطبيق.مركزين على تصور الناقد جمال الدين بن الشيخ ومفهومه للشعرية باعتباره سباقا للخوض في هذا الحقل المعرفي.

**الكلمات المفتاحية**: الشعرية، الأدبية، النقد الجزائري، جمال الدين بن الشيخ.

**Abstract:**

*We seek, through this research, standing at the various visions, perceptions and different concepts on the subject of poetry in the Algerian monetary arena, and trying to cover these views and to clarify the differences between them, whether at the level of theory or application. focusing on the criticism of Jamal Al-Din Bin Al-Sheikh and his concept of poetry as a race to delve into this knowledge.*

***Key words**: poetry, literary, Algerian criticism, Jamal Al-Din Bin Al-Sheikh.*

**المؤلف المرسل**: محمد عمارني ***Momrani16@gmail.com***

*** *** ***

**1جامعة ابن خلدون، تيارت *Momrani16@gmail.com***

**مقدمة:**

عرفت الكتابات النقدية جملة من التحولات صاغت إشكالاتها على نحو معقد ومتنوع وخصب في الآن ذاته، وراحت المدونة النقدية العربية عامة والجزائرية خاصة تقترح إسهاماتها بحثاً عن مجال حيوي تؤكد فيه فاعليتها وتشكل نموذجاً لخطابها النقدي.

لقد شغلت المدونات النقدية التي وجهت اهتمامها لموضوع الشعرية حيزا مهما من المشهد النقدي الجزائري، وعليه يأتي بحثنا هذا للكشف عن نظرة النقاد الجزائريين لموضوع الشعرية، وآرائهم حول هذا الحقل المعرفي.

كيف ساق النقاد الجزائريون مفهومهم لموضوع الشعرية؟هل تعني حسبهم مسايرة الخطاب القديم؟ أم الثورة عليه وابتكار آليات جديدة؟ ما مفهوم الشعرية وما هي المحددات والقضايا المتصلة بها من وجهة نظر الناقد جمال الدين بن الشيخ؟

**2. تلقي النقد الجزائري للشعرية:**

إن المتصفح للمنجز النقدي الجزائري الذي تناول موضوع الشعرية سيدرك منذ الوهلة الأولى أن هناك تضاربًا واضحًا حول مفاهيمها، بل أن هناك من لا يجد فرقًا بين الشعرية كنظرية نقدية والشعر كإبداع وفن أدبي.

بالرغم من أن معظم هذه المنجزات والمؤلفات النقدية وظفت مصطلح "الشعرية" لصياغة عناوينها، إلا أن المتصفح للبعض منها سيدرك أن المؤلف لم يكلف نفسه سوى التأريخ لبعض قضايا الشعر العربي على مر العصور، مثلما هو الحال لكتاب نور الدين السد الموسوم بـ "الشعرية العربية" .

تناول نور الدين السد في كتابه هذه القصيدة العربية منذ النشأة حتي العصر العباسي الأول، إذ يرى أن غاية هذا الكتاب هي «التعريف بخصائص الشعرية العربية القديمة كما هي في تنظيرها وممارسة إنتاجها، ومن هذا المنطلق كانت الرغبة في تحديد مفهوم القصيدة العربية وبنائها، ورد تطور المكونات البنيوية والوظيفية للخطاب

الشعري من عهد التأسيس إلى العهد العباسي الأول الذي شهدت فيه الشعرية العربية أرقى درجات تألقها وقمة تطورها»[1] وهو ما يؤكد الالتباس الواضح لدى الناقد أثناء مناقشته لقضايا الشعرية، فعنوان الكتاب لا يمت بصلة لمتنه.

أما كتاب "الشعرية العربية بين الاتباع والابتداع" لعبد الله حمادي، فيقدم فيه الشعرية كبحث حول «ماهية الفعل الشعري في القصيدة»[2] وقد ناقش من خلاله جملة من القضايا تتعلق بالصراع بين التقليد والتجديد في الشعر العربي القديم، وكذا الشعر والدين، بالإضافة إلي قضايا الحداثة والمعاصرة في في القصيدة العمودية وكذا التأمل الدلالي في الخطاب الشعري المعاصر

يرى عبد الله حمادي أن الشعرية تقوم على إحداث عملية تشويش مقصودة في قاموس اللغة حين تسند صفات الأشياء غير المألوفة، فتربك القرائن بين المسند والمسند إليه، وكذلك إسناد وظائف الألفاظ تفجر الألفاظ معانيها لآدائها[3] وهو ما يدفعنا للقول أن الشعرية في فطره تختص بالبحث في السمات الإبداعية للقصيدة.

لم يخصص الناقد عبد القادر فيدوح جانباً تنظيرياً للشعرية ليهتم أكثر بالجانب التطبيقي، إذ سعى من خلال مؤلفه " شعرية القصى" إلى دراسة نماذج من القصة الجزائرية، على غرار "تنين" لعمار بلحسن و " حبارة" لجمال فوغالي، و "قهوة" لعمار يزلي و "دانيا حلم الجزائر" لمحمد دحو، وهو ما مكنه من الكشف عن السمات الجوهرية والخصائص الإبداعية للخطاب السردي في الجزائر ذلك أن السردية «لم تحظ بالعمق نفسه من الممارسات التطبيقية على الرغم من الجهود الكبيرة المبذولة لاحتضان البعد النظري لأصول الخطاب السردي»[4]، فكان الهدف من هذه الدراسة فك شفرات القصى الجزائري وتفجير كثافته الإبداعية من أجل الوقوف على شعريته.

إذا كان الناقد عبد القادر فيدوح بحث في الآليات الإجرائية للكشف عن الشعرية في القصة الجزائرية، فإن الناقد "سعد بوفلاقة" يفضل التنظير لها وتحديد مفهوم دقيق للشعرية على الرغم من صعوبة ذلك.

حاول سعد بوفلاقة من خلال مؤلفه كشف النقاب عن بعض قضايا الشعرية وأنواعها وأنماطها منذ أقدم العهود حتي العصر الحديث، مستعيناً في ذلك من بعض الدراسات العربية مثل "الشعرية العربية" لأدونيس، و"في الشعرية" لكمال أبو ديب و "الشعرية العربية" لنور الدين السد، و "الشعر والشعرية" لمحمد لطفي اليوسفي، "والشعرية العربية" لرشيد يحياوي، و" شعريات عربية" لتوفيق بكار" و"مفاهيم الشعرية" لحسن ناظم، إذ أن اعتماده على آراء مختلفة لنقاد قدماء ومحدثين جعله يقع في اضطراب واضح أثناء محاولته وضع مفهوم دقيق للشعرية.

لم يكتف سعد بتحديد المفاهيم النظرية للشعرية، بل خصص جزءًا مهماً من مؤلفه لمناقشة قضية المصطلح، وكيفية انتقاله من أصوله الغربية إلى البيئة العربية، مبينًا تعدد المقابلات العربية للمصطلح الأجنبي "Poétique"، فوقف عند أهم هذه المصطلحات على غرار: الشعرية ذكر الشاعرية، الإنشائية، البويطيقا، البوتيك، نظرية الشعر، فن الشعر، فن النظم، الفن الإبداعي، علم الأدب، الشعرية.

يثبت سعد من خلال مناقشته لقضايا المصطلح أن مصطلح "Poétique" لم يشكل عائقاً في النقد الغربي، وعلى العكس من ذلك، فقد شكل الاضطراب الحاصل أثناء ترجمة هذا المصطلح عائقاً كبيراً في الخطاب النقدي العربي، الذي شهد ترجمات عديدة، اختلفت تبعاً لاختلاف وجهات نظر النقاد العرب للشعرية، ليستقر في الأخير عند مصطلح "شعرية" بوصفه أكثر المصطلحات شيوعاً وتداولاً.

يؤكد سعد بوفلاقة أن مصطلح "الشعرية" أو "الشعر" «لا يدل في حد ذاته على نوع معين دون غيره، فهو يحمل معنى التعدد وكثرة الأنواع [...] لأن الشعر العربي ليس نوعاً واحداً، إنما هو عدّة أنواع، وهو ليس نوعاً إلا في مقابل الأنواع النثرية عند من يأخذ بتقسيم الأدب إلى شعر ونثر»[(5)] وهو ما يوحي سعد يضيق من مفهوم الشعرية، ويحصرها في الشعر دون النثر.

ويعد كتاب "قضايا الشعريات" للدكتور عبد المالك مرتاض من أهم المؤلفات التي خصت موضوع الشعرية ببحث معمق، لا سيما إذا علمنا أنه جمع بين فصول نظرية وأخرى تطبيقية.

قدم الدكتور مرتاض مسحاً شاملاً لمفهوم الشعرية في الطرح النقدي العربي والغربي كما قدم بحثاً مستفيظاً حول اللغة الشعرية وحيزها وكذا الصورة الشعرية وجمالية الإيقاع.

قسم الدكتور مرتاض كتابه إلى ثمانية فصول قدم فيها إضاءة للكثير من قضايا الشعرية، ففي الفصل الأول والثاني تناول بإسهاب مفهوم الشعرية في المناخ الفكري العربي ثم الغربي، وتحدث في الفصل الثالث عن الوظائف الاجتماعية والجمالية للشعر، وفي الفصلين الرابع والخامس تحدث مطولاً عن نسبة اللغة الشعرية وحيزها، مؤكداً على «طائفة من الخصائص التي يمكن أن تتميز بها اللغة الشعرية في الذوق الأدبي العام قديماً وحديثاً»[6]

في الفصل السادس من الكتاب قام المؤلف بتحليل مستفيض لجملة من الإشكاليات التي تتصل بجمالية الإيقاع وأثرها في تذوق الشعر، موظفاً في ذلك نماذج من شعر سعد الحميدين وياسين الأيوبي، مقدماً قراءات تداولية وسيميائية لهذه اللوحات الشعرية.

أما الفصل السابع من الكتاب فقد تحدث فيه الناقد عن الصورة الشعرية التي أخذت حيزاً مهماً من المعاني في الثقافة المعاصرة، وخصص الفصل الأخير للحديث عن قصيدة النثر أو "اللاشعر" -على حد قوله- وناقش من خلاله أهم القضايا والإشكاليات المتعلقة بهذا الجنس الأدبي، لا سيما إشكالية الماهية والبحث عن التجنيس، كما عبر عن موقفه تجاه هذا النوع من الكتابة باعتبارها لا تمثل تطوراً للقصيدة العربية، كما أنها لا يمكن أن يطلق عليها شعراً. بل هي وفق منظوره «محاولة نثرية بدائية، وربما ساذجة للتعلق بالشعرية الضائعة من خلال العمل باللغة والاشتغال بالتصوير»[7]

وتجدر الإشارة إلى أن الأستاذ عبد الله العشي قدم دراسة مهمة في هذا المجال تحت عنوان "أسئلة الشعرية" متناولاً العديد من القضايا المتصلة بموضوع الشعرية، مما يدل على نظرة ثاقبة حول هذا الموضوع، إذ قسم الأسئلة المتعلقة بموضوع الشعرية إلى ثلاث أسئلة رئيسية؟ سؤال الإبداع، سؤال الماهية، وسؤال الوظيفة، مخصصاً لكل واحد منها باباً كاملاً تندرج ضمنه العديد من الفصول، محدداً من خلالها العناصر التي تحقق الشعرية ليخلص في الأخير إلى أن «أي نظرية في النقد لن تكون مجدية إلا إذا كانت مؤسسة على نظر في مفهوم الشعر، وإن أية نظرية في مفهوم الشعر لا يمكن أن تكتمل إلا إذا قامت على فهم معالم التجربة الداخلية التي تتم في حركتها عملية ولادة القصيدة»[8]

إذا كانت المفاهيم التي ساقها النقاد الجزائريون حول موضوع الشعرية تبدو متداخلة نسبياً، كونها لايمكن أن تقرأ بمعزل عن أصولها الغربية، إلا أن ترجمة المصطلح تعد إشكالية حقيقية تواجه النقد العربي المعاصر، لذا أضحى الأمر ضرورياً للبحث عن سبل لتوحيد المصطلح على الصعيد العربي عامة والجزائري على وجه الخصوص.

### 3.الشعريةمن منظور الناقد جمال الدين بن الشيخ:

يعتبر الناقد جمال الدين بن الشيخ [*] من أوائل النقاد الجزائريين الذين أولوا عناية بالشعرية عموما والشعرية العربية على وجه الخصوص، وذلك في كتابه الموسوم بـ "الشعرية العربية" والذي قسمه إلى قسمين رئيسيين: قسم متعلق بقضايا الشعرية العربية على الصعيد الشعري، وذلك بالبحث في القصيدة العربية القديمة من حيث الشكل وأدوات الإبداع وعناصره، ووظيفة الشعر وعلاقته بالواقع، ووحدة الخطاب الشعري. أما القسم الثاني فهو متعلق بدراسة المتخيل العربي (الفانتازيا) من خلال البحث في القصص والحكايات والعجائب وقصص الحب وقصص ألف ليلة وليلة.

يعتبر مؤلف بن الشيخ من أهم الدراسات العربية التي «تصدت لموضوع شائك في تاريخ النظرية النقدية العربية، ذلك بالإضافة إلى الانفتاح المنهجي الذي يَسِمُ المنهج العلمي الرائع للمؤلف، أنه يقدم وجهة نظر أخرى في تاريخ المنجز الشعري العربي منذ

العصر الجاهلي إلى الآن معيدا النظر في الأحكام وفي المنطلقات النظرية وفي النصوص التي اعتبرت المثال على الإبداع الشعري العربي»[9].

قدم الناقد بحثا معمقا حول قضايا الشعرية العربية، وذلك من خلال البحث في بنية القصيدة في العصر العباسي بهدف «الوقوف على ما يؤسس خاصية هذا الشعر ونظامه عبر رؤية منهجية نافذة لا تهادن في جهازها المفاهيمي ولغتها الواصفة»[10]. ذلك أن الأدب العربي منذ العصر الجاهلي حتى بدايات القرن العشرين هو أدب شعري أساسا، رغم أن الشعر ليس هو النتاج الوحيد لهذه الثقافة، إلا أنه يبقى نتاجها الأول والأساس. فهذه الاستمرارية على مدى خمسة عشرة قرنا شاهدة على ثبات مثال نادر في الشعر الإنساني[11]. فالشاعر يحيلنا غالبا على محيطه الاجتماعي والثقافي الذي يتأثر به ويؤثر في توجهه العام. وعلى الشاعر حسبه أن يلتزم بالذاكرة الشعرية ويتشبع بالآثار الشعرية للشعراء الأوائل موظفا لمعجمهم ومتقصيا لأسلوبهم في الكتابة.

يؤكد بن الشيخ أن الشعرية تكتسب بفضل الدربة والممارسة، نافيا مقولة الفطرة والملكة، فهي على رأي ابن خلدون تكتسب بفضل الصناعة والارتياض[12]، شأنها في ذلك شأن كل كفاءة لغوية، ولا يخفى أن الناقد في سياق حديثه عن الشعرية العربية «لم يغفل دور أي ناقد من النقاد القدامى، وقد سجل إسهاماتهم وآرائهم في كتابه "الشعرية العربية"، وقد خلص في آخر بحثه إلى صعوبة الوصول إلى نتائج سريعة، ملمحا إلى التكامل الذي أحدثه النقاد القدامى لسد كل الثغرات، والخروج بالقصيدة على الوجه الذي عرفناه، والحداثة التي خرج بها المجددون في القرن الثاني الهجري ومدى أحقيتهم فيما ذهبوا إليه، مسايرة للتغيرات والمستجدات التي طرأت على عصرهم»[13].

### 4. محددات الشعرية عند بن الشيخ:

يرى جمال الدين بن الشيخ أن الأدب العربي منذ العصر الجاهلي أدب شعري بالدرجة الأولى، وذلك بالاستناد إلى مقولة "الشعر ديوان العرب"، فهو لغتهم العليا التي تتحقق فيها أرقى درجات الإبداع. ولئن كان الشعر كذلك فإنه لا يتحقق إلا بالاستناد إلى

محددات واضحة لا ينبغي الخروج عنها، فالشاعر تبعا لذلك «يلعب بأدوات اللغة والكلام ويخضع لقواعد الجنس الأدبي، ويتوفر على ضروب الأغراض، ولا تلعب كل هذه العناصر دورا متماثلا أو ثابتا، إنها وهي مرتبطة ببعضها البعض تلعب كل واحدة منها وضيفة خاصة ومتغيرة، فهي تنتظم في مجموع يحد حيز القصيدة و يولد دلالتها»[14]. فالشعرية العربية نشأت في إطار جملة من المحددات والإرغامات حتى أصبح الشاعر العربي مقيدا مربوطا مما أفقده حريته وموهبته في الإبداع.

يعود بن الشيخ إلى تصورات ومفاهيم النقاد القدامى لوضع محددات للشعرية العربية، ففي "طبقات فحول الشعراء" يؤكد ابن سلام أن الشعر صناعة من الصنائع، كما أن الحكم على جودته يكون بالاحتكام إلى معايير موضوعية تسمح بإصدار حكم دون الوقوع في الخطأ.

أما قدامة بن جعفر فيشير إلى ذلك في مدخل كتابه "نقد الشعر"، إذ يضع معاييرا قارة يستند إليها الشعراء أثناء نظم قصائدهم، وفي "عيار الشعر" يؤكد ابن طباطبا أن الشاعر صانع على غرار النساج والنقاش وناظم الجواهر، أما أبو هلال العسكري فيكفيه أنه وضع مصطلح "الصناعتين" عنوانا لمؤلفه.

تأتي هذه الرؤى والمفاهيم لتشكل منطلقات يستند إليها جمال الدين بن الشيخ ليرسم جملة من المحددات يمكن تلخيصها في الآتي:

1/ الطابع الأجناسي: ويشير إليه بقوله أن «أدب اللغة العربية من العصر الجاهلي حتى بداية القرن العشرين هو أدب شعري أساسا»[15]. وعيه فإن استمرارية هذا الجنس الأدبي (الشعر) على مدار خمسة عشرة قرنا من الزمن يجعله معيارا ثابتا ومثالا نادرا من الشعر الإنساني يستحق الوقوف عنده.

2/ الطابع الإيديولوجي: يرى بن الشيخ أنه من محددات حقل الشعرية العربية إدارة علماء الدين لشؤون النقد، فأصبحت آراء النقاد تحتكم إلى المرجعية الدينية بعيدا عن الاشتغال الأدبي، ذلك أن «المعرفة المتعلقة بالشعر ينبغي أن تتشكل في علم

يقع تحت سلطة العلماء»[16]. فأصبحت الدراسات الأدبية خاضعة لنفس المنهج المعمول به في الدراسات الدينية.

3/ الاحترافية: يرى بن الشيخ أن الشاعر لا يحتكم إلى ذاته في كتابة الشعر بقدر ما يحتكم إلى المتلقي (المستمع)، فيستجيب لذائقته ويخضع لأفق توقعه، فأصبح الشعر تبعا لذلك ضرب من الصناعة والاحترافية، فالمتلقي للشعر «يعترف بالجميل حينما يرى قواعده محترمة وتعتبر معمارية القصيدة مألوفة لديه وتنوعات الأغراض معروفة عنده، وأنه يستحسن سيرورة القصيدة»[17]. مما يجعل الإبداع الشعري يتحول إلى صناعة تستجيب لمتطلبات النموذج الكتابي السائد الذي يتحدد وفقا لذائقة المتلقي (المستمع).

**5. قضايا الشعرية عند بن الشيخ:**

**1.5 خصائص المنجز الشعري:** إن الحديث عن المنجز الشعري يقودنا أولا إلى تحديد المناخ السوسيوثقافي لهذا المنجز الذي اشتغل عليه بن الشيخ، أو ما يطلق عليه محمد بنيس بالمركز الثقافي الذي لا يتحقق إلا بوجود شروط بنيوية معينة لها عناصرها وخصوصياتها يستحيل تحقق المركز الثقافي بعيدا عنها[18].

تتضافر عناصر ومقومات معينة تمكن من ميلاد بنية فكرية وثقافية واضحة المعالم يمكن إخضاعها لدراسة علمية، مثل ما هو حاصل في العصر العباسي من تحولات كبرى جعلت الشاعر العباسي «يخضع لنظام جديد من الأشياء، وهذا ملحوظ حتى في تطور الأجناس والأغراض، وهو يتخلى عن قناعاته الشخصية ويكيفها بكثير من المرونة لكي يحصل على كثير من التشجيع والحماية والفائدة، وهذا يفسر في الكثير ضعف الروابط الأصلية والتغير المتدرج الذي طرأ على الشعر بالإشارة إلى الأشكال الدخيلة للحساسية الفارسية على وجه الخصوص، وهي التي لم تتمكن طرائقها من التلاؤم مع قواعد الإنتاج العربي الأصيل. يشار أيضا إلى حياة البذخ والانحلال التي كانت قائمة وكان ينغمس فيها الشعراء»[19]. كما أن التحول من حياة البداوة إلى المدينة ساهم في تشكيل بنية اجتماعية لها عناصرها وعلاقاتها التي أفضت إلى تكوين بنية عميقة _ بالمفهوم البنيوي_ انعكست بصورة مباشرة على الحياة الأدبية والفكرية، فإذا كانت البنية «نظام من التحويلات له قوانينه من حيث أنه مجموع وله قوانين تؤمن ضبطه

الذاتي، فإن جميع أشكال الأبحاث المتعلقة بالمجتمع مهما اختلفت تؤدي إلى بنيويات»[20].

هكذا ينطلق بن الشيخ من دراسة البيئة السوسيولوجية للشاعر العباسي كبنية كلية، ليصل إلى البنية الثقافية والأدبية باعتبارها بنية متضمنة في البنية الكلية.

انطلاقا من المناخ السوسيوثقافي السائد في العصر الوسيط (العصر العباسي) ينتقل الناقد إلى تحديد المنجز الشعري الذي يعتبره صناعة مرتبطة بإطار زمكاني معين، وعليه فإن درس الشعرية العربية عنده يتعلق بمدونة ناجزة، فالأمر هنا يتعلق بـ «صناعة تضطلع بها إرادة خاضعة لمتطلبات متنوعة. إن هذه الإرادة تنجز مشروعا وهي تتلوه أو تكشف عنه في تحققه، بالوسائل المحددة التي تتوفر عليها. ومراحل هذا التحقق والشكل والمحتوى المسلمين للمشروع، ودلالة الأثر الأدبي هي التي تحدد ما يمكن بشكل صائب تسميته إبداعا»[21].

ينفي جمال الدين بن الشيخ أن يكون الإبداع خاضعا لقوى ميتافيزيقية أو إلهية خارقة، فالمبدع في الثقافة العربية والإسلامية لا يكون مفعما بطاقة إبداع تشبه إشارة إلهية، فإذا كان الشاعر العربي يزعم أنه يقيم علاقة مع قوى خفية (شيطان الشعر)، فإن مجيء الإسلام انتزع منه هذه السلطة، ثم تمكنت الحياة المدنية في العصر العباسي من إلغاء هذا التصور بشكل نهائي.

يميز بن الشيخ بين مصطلحي الإبداع والصناعة، فالأول يجمع بين فعلي التصور والإنجاز، بينما يتعلق الثاني بظاهرة منجزة ومتشكلة في إطار زمكاني محدد كفن تعبيري لغوي وليس كتصور[22]، وعليه يصبح المنجز الشعري في إطار المناخ السوسيوثقافي السائد خاضعا للسياق الذي يردُ فيه، الأمر الذي يمكننا من دراسته باعتباره منجزا قابلا للتحليل وخاضعا للقياس، وهذا بطبيعة الحال يزيل تلك القدسية المتصلة بالمنجز الشعري، والحاصلة بتأثير القوى الميتافيزيقية في عملية الإبداع، فالصناعة الشعرية تبعا لذلك تشكل مرآة عاكسة للسياق الذي تشكله بنية المركز الثقافي.

يستحضر الناقد تأثير القرآن الكريم على صناعة الشعر في الثقافة العربية الإسلامية، لتأكيد تصوره السائد حول تأثير المناخ السوسيوثقافي في تشكل عملية الإبداع، مؤكدا أن القرآن هو «التربة الخصبة والمخصبة التي ستغذي الفكر دائما. إنه يرسخ في الذهن حاسة اللغة العربية التي لا تقبل التجاوز، ويوفر رصيدا معجميا لا ينضب، ويثبت أسلوبية، ويشكل حقلا استعاريا، ويقدم صيغا مسبوكة. إنه باختصار يقوم البنيات الذهنية، ويحدد كيفيات التفكير التي لن تفارق الشاعر أبدا. ومهما كان استغلاله لهذه المادة من النصوص وتعمقه فيها ضعيفا، فإنه سيظل متوفرا على أرصدة ضخمة مختزنة بشكل نهائي في ذاكرته، وهذا شرط لممارسة فنه، وهو شرط لا يقوم شيء بدونه»[23]. إنه وفق هذا المنطلق نوع من التكوين الخاص الذي يشكل لا شعور المبدع ويكسبه ذاكرة شعرية إبداعية.

هكذا يجسد الإبداع الشعري صورة عاكسة لطبيعة النظام السوسيولوجي، حاملا لخصائصه ومقوماته، فيتحول الشعر تبعا لذلك إلى صناعة تتحدد وفق تقاليد محددة وواضحة، فتصبح القصيدة عبارة عن مشروع يتأسس عن تجربة ومعرفة تتوخى الإتقان.

**2.5 في مفهوم الإبداع وأنماطه:** الإبداع لغة: الإتيان بالشيء الجديد الذي لا نظير له، جاء في لسان العرب: «بدع الشيء، يبدعه بدعا، وابتدعه أنشأه وبدأه، ومنه أبدعت الشيء اخترعته لا على مثال، وأبدع الشاعر جاء بالبديع، والبديع المحدث العجيب»[24].

يفصل الدكتور أحمد مطلوب مفهوم الإبداع من منظوره النقدي والبلاغي، إذ جمع آراء بعض النقاد والبلاغيين في "معجم النقد العربي القديم"، ومما أورده حول هذا المصطلح قوله: «الإبداع من أبدع وهو أن يأتي الشاعر بالبديع، والبديع الشيء الذي يكون أولا»[25].

والإبداع سمة الشاعر المبتكر والكاتب المقتدر، وقد وضعه البلاغيون والنقاد في قمة الإنتاج، قال ابن رشيق: «الإبداع هو إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف الذي لم تجر

العادة بمثله، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وإن كثر وتكرر، فصار الاختراع للمعنى والإبداع للفظ، فإذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الأمد، وحاز قصب السبق»[26].

يؤكد بن الشيخ أن الشعراء بصورة عامة يتلقون نفس التكوين، وبإمكانهم الكتابة في شتى الأغراض، إلا أن الشاعر الجيد هو الذي يتطلع إلى تحقيق التفرد والتمرس في غرض شعري معين يشتهر به ويبدع فيه، فالشعراء «لا يكتفون طبعا بتلقي الأوامر الكفيلة بتحريك آلية جهاز. بل ينشدون نمط إنتاج ينفصل فيه المبدع عن حوافز أويستبطنها بصورة يقع تماثلها مع كيانه الخاص وإرجاعها حتى تعبر عن كيانه الخاص»[27].

يفصل بن الشيخ الحديث عن أنماط الشعر مركزا على نمطين رئيسيين: الارتجال وإبداع الرؤية.

يتميز الشاعر عن غيره كونه «يشعر بما لا يشعر به غيره»[28]، وعليه فإن للشعر دوافع ومثيرات تعمل على تجسيد الإحساس والانفعال في صورة شعر يقوم صاحبه بتهذيبه بعد ذلك، وهو ما يطلق عليه بشعر الارتجال.

يعرف الارتجال في الشعر بأن ينظم الشاعر «ما ينظم في أوحى من خطف البارق، واختطاف السارق، وأسرع من التماح العاشق، ونفوذ السهم المارق حتى يخال ما يعمله محفوظا، أو مرئيا من غير حاجة إلى كتابة، وتعلل بتقفيه، وتنفرد عن ذلك قضية الحال باختراع الوزن والقافية، وهم الشهود الذين يجب الرجوع إليهم، ولا يجوز العدول بالشهادة على استطاعته، وإن ذلك المنظوم ابن ساعته»[29].

ومن أجمل القصائد في الشعر العربي وأكثرها شاعرية تلك التي عرفت بالشعر الارتجالي، إذ يستعرض بن الشيخ نماذج لطائفة من الشعراء كأبي نواس والفرزدق والحارث بن حلزة وغيرهم، في مواقف دعت إليها الإجازة الشعرية، فالارتجال في الشعر العربي «يمنح سموا ويثير الإعجاب، يبرهن المرتجل على تملكه للغة وبراعته في تنظيمها في خطاب يبعث على القبول، ويشترك كل من الشعر والخطابة في هذه النقطة [...] لهذا

فإن الشعراء الموهوبين بعفوية اللغة هاته مشهورون، بدءً من الحارث بن حلزة إلى الفرزدق، وخصوصا أبو نواس»[30]. فهؤلاء الشعراء يتمتعون بقوة الشعر، إذ يمكنهم أن يفجروا طاقاتهم الشعرية في أية لحظة.

النمط الثاني من أنماط الإبداع يطلق عليه "إبداع الرَوِيَة"، والروية في اللغة: النظر والتفكير في الأمور، وهي خلاف البديهة، والروية إشباع الرأي والاستقصاء في تأمله.

والروية في الإبداع عموما وفي الشعر على وجه الخصوص تطلق على الأعمال التي يُبالغ صنعها وإتقانها، فإذا كان النمط الأول من الإبداع يقوم على الارتجال؛ أي أن أساسه البديهة، فإن النمط الثاني يقوم أساسا على الصور البالغة التكلف، إذ تبرز هنا «إرادة الإدانة لصنف من الشعر "المصنوع" المتكلف والمثقل، يستفيد مؤلفه غير المحاصر بالزمن، من كل المقومات اللغوية التي تسمح له بعرض إبداع يقوم على الروية، وربما أيضا بعرض إبداع مكتوب»[31].

شغلت هذه الثنائية حيزا مهما من اهتمامات النقاد العرب القدامى، إذ فرقوا بين من يقول الشعر عن إلهام وارتجال، وبين من يقوله ثم يعيد النظر فيه بالتنقيح والتهذيب.

يقسم ابن قتيبة الشعراء إلى متكلف ومطبوع، إذ يرى أن المتكلف «هو الذي قوم شعره بالثقاف، ونقحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر بعد النظر كزهير والحطيئة»[32]. وعليه فإن تقويم الشعر وتنقيحه يكون بعد قوله، ومن ثمة يبدو هذا الفريق من الشعراء تماما كالفريق الأول في عملية الإلهام والارتجال، ولكنه ارتجال مصحوب بنوع من الإتقان، «فالمعرفة والتجربة والدربة هي وحدها التي تجعل من فرد مطبوع شاعرا حقيقيا»[33].

يؤيد الجاحظ هذا الرأي مؤكدا أن ثمة من الشعراء من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كاملا، يدقق النظر فيها ويجيل فيها عقله ويقلي فيها رأيه، اتهاما لعقله

وتتبعا على نفسه، فيجعل عقله زماما على رأيه ورأيه عياراً على شعره[34]. وهو ما يجعله أكثر شاعرية من المطبوع، فشعره يكتسب جودة وأتقانا أكثر من الأول.

**3.5 استقلالية الغرض الشعري:** يأتي حديث بن الشيخ عن مقولة الغرض من الشعرية كسياق تكميلي لما طرحه في مقاله الرائد الموسوم بـ "الغنائية في الشعر العربي"، وهي دراسة قمينة جاءت ردا على التصور الذي «يختزل تاريخ هذا الشعر في أنه "شعر غنائي" كما كرست ذلك الدراسات الاستشراقية، رافضا أن يخضعه للتمركز حول الذات الغربية، ولسلطة التسمية فيها ضمن الاهتمام الأوروبي بالتعرف على آخرهم "الشعري" في الثقافات الوافدة عليه من الشرق»[35].

يؤكد بن الشيخ أن الشعرية العربية لا يمكن اختزالها تحت مضلة الغنائية كغرض شعري أو كجنس أدبي بالمفهوم الذي يروج له النقد الغربي، فالقصيدة العربية _حسب رأيه_ «لا تختلط مع الغناء حتى في العصر القديم، بل ترتل وتنشد مع التقطيع الذي يؤثر عنه الإيقاع، وليس بالضرورة أن تصحبها الميلوديا[*]»[36].

يسوق الناقد لتأكيد رأيه هذا جملة من القصائد لكل من البحتري وأبي تمام وأبي نواس وأبي الأحنف وأبي العتاهية، مؤكدا أن هذه القصائد تبنى على شكل تفاعلات وتعالقات، دون أن تعير أي اهتمام للحدود الفاصلة التي تقيمها الأغراض الشعرية، وعليه فإنه «لا تحقق وحدة القصيدة فعلا عبر الاتفاق الغرضي الذي يتحكم في تنظيمها ولا تمتلك القصيدة من دلالة شعرية إلا ما به تدرك كعرض أغراض طقوسي، ولسنا نمسك بشأن هذه السلسلة الخطية إلا بالمعمار الظاهر والحركة المختلفة وإن وجب أن نبحث حقيقة الشعر وواقع الشكل، فإن ذلك لن يتم إلا في اللغة»[37]. فالغرض الشعري لا يملك فاعلية في بناء القصيدة، بل إن اللغة وحدها تمثل العنصر الفاعل في إنشاء معماريتها، وهو ما يؤكد المقولة النقدية التي مفادها أن القصيدة العربية تبنى على وحدة البيت في مقابل وحدة الموضوع.

كخلاصة لما تقدم يمكننا القول أن بن الشيخ تطرق إلى الشعرية العربية مركزا على أدوات الإبداع وأنماطه فيها، وكذا مسألة الأغراض الشعرية والقافية باعتبارها عاملا صوتيا دلاليا، منتهيا إلى إبراز نظرية الشعرية ومحدداتها، وذلك من خلال حديثه

عن الطابع الأجناسي والإيديولوجي وكذا الاحترافية في الشعر، بالإضافة إلى تفصيله القول عن خصائص المنجز الشعري.

**6.خاتمة:**

تأتي نظرة النقاد الجزائريين لموضوع الشعرية كنتيجة لتفكير منهجي له إطاره المرجعي، فمنهم من سعى إلى مسايرة الخطاب القديم ومنهم من ثار عليه ووضع آليات جديدة.

إن هذه الدراسة ليست سوى لبنة في هذا الصرح العلمي، وما هي إلا خطوة مبدئية في طريق البحث الطويل والشّيق نحو اكتشاف أسرار الشعرية من منظور النقد الجزائري، لذا نرجوا أن ينال هذا الموضوع حظه من النقاش والنقد والتحليل، وأن نكون أحسنا بعض الإحسان في صياغته وتقريبه، وأن يكون هذا البحث سببا في إثارة إشكاليات جديدة، تفتح المجال واسعا أمام الباحثين.

## 7. الهوامش:

(1) نور الدين السد، الشعرية العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ج1، ص24.

(2) عبد الله حمادي، الشعرية العربية بين الاتباع والابتداع، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2001، ص6.

(3) يُنظر: المرجع نفسه، ص184.

(4) عبد القادر فيدوح، شعرية القص، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، الجزائر، ط1، 1996، ص9.

(5) سعد بوفلاقة، الشعريات العربية، المفاهيم والأنواع، منشورات بونة، عنابة، الجزائر، 2007، ص09.

(6) عبد المالك مرتاض ، قضايا الشعريات، دار القدس العربي، وهران، الجزائر، 2009، ص169.

(7) المرجع نفسه، ص312.

(8) عبد الله العشي، أسئلة الشعرية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص271.

(*) جمال الدين بن الشيخ: كاتب وناقد وشاعر جزائري، ولد بالدار البيضاء المغربية سنة 1930، اشتغل أستاذا جامعيا بجامعة السوربون بفرنسا،له مؤلفات نقدية أبرزها كتاب "الشعرية العربية" الذي يعد من أهم الكتب التي تناولت الشعر العربي من ناحية المضمون والجماليات والسمات الأسلوبية، كما أنه عرف كشاعر من طراز خاص، إذ جعل من القصيدة فسحة تنصهر فيها اللحظة الوجدانية واللحظة الفكرية التأملية، له عدة دواوين شعرية أهمها: " الصمت صامتا"، "غنائية لبلاد الجزر"، "الكلمات الصاعدة" وزبد"، اقتحم بن الشيخ أيضا مجال الكتابة الروائية فذاع صيته من خلال رواية "وردة سوداء بلا عطر"، كما أنه اشتغل أيضا في مجال الترجمة فكان من أهم أعماله مشروعه الرائد في ترجمة كتاب "ألف ليلة وليلة" رفقة المستشرق الفرنسي أندريه ميكال، توفي سنة 2005 بإحدى المستشفيات الفرنسية بعد صراع طويل مع مرض السرطان.

(9) حكيم عنكر، جمال الدين بن الشيخ يحاور المركزية الأوروبية في صميم لاوعيها، على الموقع www. maghres.com، يوم 2019/05/12.

(10) عبد اللطيف الوراري، إرث جمال الدين بن الشيخ وحاجتنا إليه، على الموقع www.alarabalyawm.net يوم 2019/05/12.

(11) ينظر جمال الدين بن الشيخ، الشعرية العربية، تر: مبارك حنون وآخرون، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، دط، دت، ص05.

(12) ينظر عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، سوريا، ط1، 2004، ص53.

(13) محمد مصابيح، شعرية النص بين النقد العربي والحداثي كافية أبي العتاهية تحليل أسلوبي، منشورات طكسج كوم، الجزائر، ط1، 2014، ص168.

(14) جمال الدين بن الشيخ، الشعرية العربية، ص45.

(15)المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(16) المرجع نفسه، ص08.

(17) المرجع نفسه، ص292.

(18) ينظر محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته، دار ص89.

(19) جمال الدين بن الشيخ، الشعرية العربية، ص 72.

(20) جان بياجيه، البنيوية، تر عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط4، 1985، ص81.

(21) جمال الدين بن الشيخ، الشعرية العربية، ص51.

(22) ينظر عبد السلام بادي، الشعرية العربية بين أدونيس وجمال الدين بن الشيخ، ص81.

(23) جمال الدين بن الشيخ، الشعرية العربية، ص96.

(24) جمال الدين بن منظور، لسان العرب، ج8، ص، ص6، 7.

(25)أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص، ص32، 33.

(26) ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، الإسكندرية، مصر، ط3، 1963، ج2، ص192.

(27) جمال الدين بن الشيخ، الشعرية العربية، ص111.

(28) ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، ج1، ص116.

(29) علي بن ظافر الأزدي، بدائع البدائه، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، دط، 1975، ص07.

(30) جمال الدين بن الشيخ، الشعرية العربية، ص112.

(31) المرجع نفسه، ص125.

(32) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح أحمد محمد شاكر، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط6، 1997، ص17.

(33) جمال الدين بن الشيخ، الشعرية العربية، ص126.

(34) ينظر الجاحظ، البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط4، 1978، ج2، ص202.

(35) عبد اللطيف الوراري، جمال الدين بن الشيخ وحاجتنا إلى إرثه التنويري، على الموقع http://www.jehat.com يوم 2019/05/25.

(36) جمال الدين بن الشيخ، الغنائية في الشعر العربي، على الموقع http://www.jehat.com يوم 2019/05/25.

(*)الميلوديا: مصطلح يطلق على الجانب الشعري السامي في الموسيقى، ويرى الدكتور صفاء أبو صالح في مقال له تحت عنوان "الأدب والفن" ضمن مجلة الحوار المتمدن الإلكترونية؛ أن الميلوديا هي إحدى عناصر الموسيقى الأربعة بالإضافة إلى الإيقاع والتوافق الموسيقي (الهارمونيا) والطابع الصوتي، ويقصد بالميلوديا: اللحن الذي يصاحبه في الذهن فكرة تتصل بالشعور. وتقسم مي زيادة في كتابها "كتابات منسية" الموسيقى إلى عنصرين

رئيسيين: الأول الميلوديا وتسميه اللحن وتقصد به كل الموسيقى الشرقية في تاريخها الماضي وفي تطورها الحاضر جميعاً، والثاني الهارمونيا وتطلقه على الموسيقى الغربية بصفة عامة.

(37) جمال الدين بن الشيخ، الغنائية في الشعر العربي، على الموقع http://www.jehat.com يوم 2019/05/28.